المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام الامام الباقر عليه السلام أنموذجاً

الباحثة
سوسن كاظم مهدي الحسيني
irisflower-88@yahoo.com

المبحث الأول

أولاً: ذكر موجز عن حياة الإمام الباقر عليه السلام.

إنّ سيرة أهل البيت: تكتنز تاريخاً غنياً بالعطاء وبالجهود التي بذلوها من أجل نشر معارف الدين السامية، وإشاعة نور الإصلاح والحقّ والعلم في دياجير الانحراف والظلم والباطل، سيّما وهم: الركيزة الراسخة التي يقوم عليها صرح الإسلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فصاروا قبلة يهوي إليها طالبو الحقّ والعدل والعلم، وقدوة حسنة يصبو إليها أهل التقى والمكارم.

وإمامنا الباقر عليه السلام واحد من أفذاذ تلك السلسلة المحمدية المعصومة، فأبوه سيّد العابدين علي بن الحسين عليه السلام حليف المحراب والدعاء والابتهال، وجدّه الحسين عليه السلام شهيد الإصلاح والثورة على طغاة بني أمية، وهو الذي سمّاه جدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله بـ (محمد الباقر) وأخبر عن توسعّه في العلم وتبحّره في دقائقه، لقوله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد اللّه الأنصاري رحمه الله: ((يا جابر، يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً، فإذا رأيته فاقرأه منّي السلام))[1].

وهو ممن أمسك رداء المجد من أطرافه، فهو أول علوي تولّد من علويين، وأول فاطمي تولّد من فاطميين، وأول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، وتلك هي صهوة المجد، وغاية السؤدد[2].

ولاقتران الطيب بالطيب فعل عجيب، كاندماج النور بالنور، أو اختلاط الزيت بالزيتون فيكون الامر خيراً على خير.. فيصبح خيراً أكثر ونوراً أبهر وطعماً أطيب فيزداد رونقاً وبهاءً وجمالاً[3].

فإن نسبه أباً وأماً لامع، فأمّه هي السيدة الجليلة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، وتكنّى أُمّ الحسن، وقيل: أُمّ عبد اللّه، وقيل: أُمّ عبدة (٣).

وأبوه سيد الساجدين وزين العابدين وراعي الفقراء والمساكين علي بن الحسين السجّاد عليه السلام، الذي يقول فيه أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان يقال لعلي بن الحسين ابن الخيرتين؛ فخيرة اللّه من العرب هاشم، ومن العجم فارس.

قال له جابر بن عبد اللّه الأنصاري: أنت ابن خير البرية، وجدّك سيد شباب أهل الجنة، وجدّتك سيدة نساء العالمين (١)[٤].

توفرت في شخصية الامام ابي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي تؤهله لزعامة هذه الأمة وقيادتها الروحية والزمنية فكل صفة من صفاته ترفعه الى القمة التي لا يبلغها إلا أفذاذ الناس وعمالقة الدهر[٥]، فهو كما قال الشاعر:

من هاشم في ذراها وهي صاعدةٌ ... الى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا ان تكون لهم ... مكارم الدين والدنيا بلا أمد

عرف الصحابة ما يتحلى به الإمام الباقر عليه السلام منذ نعومة أظفاره بالعلم الغزير والمعرفة والواسعة فكانوا يرجعون إليه في كل المسائل التي لا يهتدون إلى حلها. يقول الرواة: إن جابر بن عبد الله الأنصاري وهو شيخ كبير، كان يأتيه فيجلس بين يديه ليتعلم.. وقد أعجب جابر من سعة دائرة العلم عند الإمام وعمق معارفه المتعددة فطفق يقول: (يا باقر لقد أوتيت الحكم صبياً)[٦].

تحدث الإمام الباقر عليه السلام كثيراً وفي مناسبات عديدة عن العلم فشجع على طلبه وحث الطلاب على المزيد من تحصيله لأنه على ثقة من أمره، أن العلم نور العقل، وهو الدعامة الاولى التي ترتكز عليها حياة الأمم المتطورة والراقية.

قال عليه السلام: "لا يقبل عمل إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لا يعرف فلا عمل له"[٧].

وكان الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الإنسانية في سيرته وسلوكه فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين. وما دونته كتب التاريخ من فضائله الجمة هي

غيض من فيض[٨].

ثانياً: التعريف بمصطلحات البحث

• تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً:

ورد في قواميس اللغة لكلمة (منهج) أنها تدل على الطريق الواضح المستقيم.

قال ابن فارس: (النون والهاء والجيم أصلان متباينان الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضًا..)[٩].

وقال في الصحاح: (النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته)[١٠].

• تعريف المنهج في الاصطلاح:

"هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم"[١١].

• تعريف التربية:

التربية مأخوذة من مادة رَبَو، وتعني في اللغة الارتفاع، بلوغ الذروة والاضافة والرشد.

ومعناها الاصطلاحي السعي لإيجاد التغيير المطلوب في الفرد وإيصاله الى التكامل التدريجي والمستمر.[١٢]

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زادَ ونما، فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[١٣] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[١٤] ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾[١٥].

الأصل الثاني: رَبى يربي على وزن خفى يخفي، وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[١٦] ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٧].

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٨] ﴿. . . وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ. . .﴾[١٩]، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[٢٠].

المبحث الثاني

المنهج التربوي في القرآن والسنة وأهل البيت عليهم السلام

التربية هي أداة للبناء المستمر وتشغيل الإنسان والتي تثمر بناء إنسان مفكر مؤمن ملتزم ومسؤول يتمكن من التقييم والنقد للبيئة، ويعمل بتوجيهات الدين في مجال السلوك. فهي إشارة وادارة المجرى التقدمي والتكاملي للإنسان بالشكل الذي يوجهه نحو الله. وبهذا فمعناها احياء فطرة الله في الانسان وتنمية أبعاده الوجودية باتجاه الحركة نحو الكمال اللامتناهي[٢١].

فالإنسان موجود متعال يمتلك استعداد الوصول إلى الكمال، وهو بحاجة في مسيره التكامليّ إلى أسلوبٍ تربوي قويّ وكامل. والإنسان الفاقد للتربية، فاقد لجميع الأمور، لذلك ينبغي السعي نحو تربية الروح يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول ضرورة التربية الروحيّة والمعنويّة للإنسان: "عجبت لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله، فيجنّب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه"[٢٢].

إنّ بناء مجتمع نموذجيّ وتربية أشخاص بشكل سليم وصحيح، يحتاج إلى أصول وأساليب يتمكّن الإنسان ومن خلالها الوصول إلى السعادة بعيداً عن الانحرافات[٢٣].

فإن للمنهج المتبنى في الحياة تأثير على السلوك، فهو الذي يجعل الايمان والشعور الباطني به حركة سلوكية في الواقع ويحول هذه الحركة إلى عادة ثابتة، فتبقى فيه الحركة السلوكية متفاعلة مع ما يحدد لها من تعاليم وبرامج، ووحدة المنهج تؤدي إلى وحدة السلوك، فالمنهج الواحد هو المعيار والميزان الذي يوزن فيه السلوك من حيثُ الابتعاد أو

الاقتراب من التعاليم والبرامج الموضوعة والمنهج الاسلامي بقواعده الثابتة من أفضل المناهج التي يجب تبنيها في الاسرة المسلمة، فهو منهج رباني موضوع من قبل الله تعالى المهيمن على الحياة بأسرها والمحيط بكل دقائق الامور وتعقيدات الحياة، وهو منهج منسجم مع الفطرة الإنسانية لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يطاق، وهو موضع قبول من الإنسان المسلم والأُسرة المسلمة، فجميع التوجيهات والقواعد السلوكية تستمد قواها وفاعليتها من الله تعالى، وهذه الخاصية تدفع الاسرة إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه في داخلها، فلا مجال للنقاش في خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تنفيذه، فهو الكفيل بتحقيق السعادة(٢٤).

ولذلك فإن تقديم أكمل الأساليب التربويّة يقرّب الإنسان من السعادة الحقيقيّة والحياة الخالدة، ومن رضى الله تعالى. ويمكن الحصول على هذه الأساليب من خلال حياة وسلوك وأقوال الأشخاص القدوة الحقيقيين في الدين الإسلاميّ أي الأئمّة الأطهار عليهم السلام(٢٥).

وبهذا الصدد قام الامام الباقر عليه السلام بنشر الاحاديث النبوية الشريفة المرتبطة بالجوانب الاخلاقية والاجتماعية لكي تكون نبراساً لأفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم في مسيرتهم الانسانية تنطلق بهم نحو السمو والتكامل والارتقاء للوصول الى المقامات الانسانية التي وصل اليها الصالحون.

وكان عليه السلام من خلال نشر هذه الاحاديث النبوية يشير الى العوامل الاساسية في صلاح الاخلاق والاوضاع الاجتماعية وهي صلاح الفقهاء والامراء، فقد روى عليه السلام قول جده صلى الله عليه وآله: " صنفان من أُمتى اذا وقال صلى الله عليه وآله: "ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا ولآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك".

فإنه صلى الله عليه وآله يحث على حسن الخلق كما قال: "حسن الخلق يثبت المودة"(٢٦).

وبهذا قد حذر الامام الباقر عليه السلام في هذه الوصية من مزاملة هؤلاء الاشخاص المصابين في أخلاقهم خوفاً من انتقال امراضهم النفسية الى من يصحبهم، فإن للصحبة أثراً فعالاً في تكوين السلوك الشخصي للفرد.

ولا تصحب قاطع الرحم فإنه ملعون في كتاب الله في ثلاثة مواضع:

في سورة محمد صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾(٢٧).

وفي سورة الرعد حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٢٨).

وفي سورة الاحزاب، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٢٩)"(٣٠).

فتصدى الأئمة المعصومين عليهم السلام ببناء الجماعة الصالحة التي أُرسيت دعائمها في المرحلة بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الى تحديد الإطار التفصيلي وإيضاح معالم الخط الرسالي الذي أُؤتمن الأئمة الأطهار عليهم السلام عليه والذي تمثل في تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية الأمامية وتربية عدة أجيال من العلماء(٣١).

حيث كان الامام أبو جعفر عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام حريصين كل الحرص على أن تكون شيعتهم مقتدين بهديهم ومتميزين في سلوكهم ومتورعين في مكاسبهم ومتحرجين في امور دينهم كأشد ما يكون التحرج ليكونوا قدوة لبقية المسلمين بما يحملونه من طاقات إسلامية مشرقة تضئ الطريق وتهدي الحائر وتدلل على واقع اهل البيت عليهم السلام وقد أثر عن الامام الصادق عليه السلام انه قال لبعض شيعته بما مضمونه كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا، حتى يقول القائل: رحم الله جعفر ابن محمد قد أدب شيعته ورأى الامام موسى بن جعفر عليه السلام بعض شيعته قد شذ في سلوكه وارتكب ما حرم الله فوجه عليه السلام اليه هذه النصيحة الرائعة قائلاً له:" إن الحسن من كل أحد حسن، ومنك أحسن، والقبيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح نظراً لاتصالك بنا أهل البيت"(٣٢).

إن المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام متداخل مع بقية المناهج التي تكون مجتمعة بمنهج الاسلام الشامل والكامل للكون والحياة والمجتمع والانسان، فلا فصل بين المنهج التربوي وبقية المناهج، ولا تصادم ولا تناقض لان الهدف الاساسي لأهل البيت عليهم السلام هو إنجاح مسيرة التربية وإشاعة الاخلاق الفاضلة وتقريرها في واقع الحياة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

"انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق".[٣٣] وبهذا يكون كل ما جاء به الاسلام في القرآن والسنة يراد به إتمام مكارم الاخلاق.[٣٤]

المبحث الثالث

منهج التــزكية عند الامام الباقر عليه السلام

كما نوهنا بأن كل الصفات التي أراد الأمام الباقر عليه السلام أن تتحلى بها الجماعة والفرد المسلم بالأخص، والتي وضع لها مع الائمة المعصومين عليهم السلام قواعد ومبادئ سلوكية ليسمو الفرد بها نحو الكمال، فهي قد تكون فاقده لجوهر سموها وتكاملها مالم تكن مقرونة بتزكية النفس وتطهيرها من الانحراف العقدي والفكري والاخلاقي، فإن الطريق السليم والذي يكون له دافع ذاتي للتخلق بكل هذه السلوكيات المحمودة هو الارتباط بالله تعالى.

- **الارتباط بالله تعالى.**

إن السلوك القويم نتيجة الارتباط بالله تعالى يتجلى واضحاً في قول الامام الباقر عليه السلام: "البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله تعالى، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله"[٣٥].

يقول المؤرخون: إنه كان دائم الذكر لله وكان لسانه يلهج ذكر الله في أكثر أوقاته فكان يمشي ويذكر الله ويحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله[٣٦].

حيث أنه نظر الى الحياة بعمق وتبصّر في جميع شؤونها فزهد في ملاذها وإتجه نحو الله تعالى بقلب منيب.

يقول جابر بن يزيد الجعفي:" قال لي محمد بن علي عليه السلام: يا جابر، إني لمحزون وإني لمشتغل القلب. فانبرى إليه جابر قائلاً: ما حزنك وما شغل قلبك؟ فأجابه عليه السلام بما احزنه وزهده في هذه الحياة قائلاً: يا جابر، إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه... يا جابر، ما الدنيا، وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها "[٣٧].

وهذا ينم عن عظيم ارتباطه بالله تعالى وبالتالي ترفعه عن ملاذ الدنيا فسمو أخلاقه.

وذكر الامام الباقر عليه السلام الخصائص المميزة لافراد الجماعة الصالحة هي التزامهم بمبادئ القرآن الكريم وقيمه في مختلف مجالات الحياة الاسلامية في العبادة والارتباط بالله تعالى، وفي العلاقات الاجتماعية، وقد بين ذلك بقوله عليه السلام:" فو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء"(٣٨).

حيث ان الايمان بالله تعالى باعث للسلوك القويم حيث يجعل الخير والصلاح ثابتاً لا عارضاً، ومن آثار الايمان على نفس الفرد هي: التفاؤل، التفتح، الطمأنينة، التمتع بالذات المعنوية، مقاومة الانحراف، الصبر على المصائب، التنافس على عمل الصالحات وغيرها من مقومات الاستقامة وحسن السيرة والسريرة.

ومن آثاره الاجتماعية: احترام القوانين والضوابط الاجتماعية، تقديس العدالة، الشعور بالأخوة والمحبة بين الإفراد، الثقة المتبادلة، الاحساس بالمسؤولية الاجتماعية، التقوى، الايثار، نكران الذات، تقبل النصيحة والنقد البناء.

ومن هنا فتعميق الايمان بالله ضروري جداً في تربية الانسان وخصوصاً في مرحلة الطفولة، وهو وحده الذي يحصنه من الانحراف ويوجه ضميره وإرادته وسلوكه نحو الاستقامة والصلاح لإيمانه بوجود قوة غيبية تتابعه في حركاته وسكناته.(٣٩) والايمان كما جاء في قول الامام الرضا عليه السلام: "الايمان أداء الفرائض واجتناب المحارم، والايمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان"(٤٠).

- **الندم والتوبة عنوان لصلاح النفس.**

إن الانسان كما يسعى لإحياء مواهبه الفكرية وادراك الحقائق العلمية ويحرز تقدماً فيها، عليه ان يسعى كذلك في سبيل تزكيه نفسه وتطهيرها من كل شائبه، فيحيي بذلك إنسانيته ويرضي عواطفه النبيلة بالفضائل الاخلاقية. فان المجتمع الذي يقوم على العلم فقط ويكون

فاقداً للفضيلة والاخلاق لا يطاق وسوف لا يكون في المجتمع اطمئنان وارتياح بال والناس يكونون كراكبي سفينة في وسط بحر هائج يشعرون بخطر الغرق والسقوط في كل آن. وبغض النظر عن الجانب الديني فان الفضائل الخلقية والملكات الطاهرة من الضروريات الحيوية لمجتمع سعيد فاضل، فعن الامام علي عليه السلام أنه قال: "لو كنا لا نرجو جنه ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا ان نطالب بمكارم الاخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاح"(٤١).

فإن الطبيعة البشرية قد تستقيم مرة وتنحرف مرة أُخرى، ولهذا فان العودة الى الاستقامة تقتضي محاسبة النفس باستمرار والاقرار بالأخطاء ثم التوبة والعزم على عدم العود ولذا أكد الامام الباقر عليه السلام على هذه المقومات، وبدأ بالإقرار بالذنب والندم كمقدمة للنجاة منه، فقال عليه السلام: "والله ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به"(٤٢)، وقال ايضاً عليه السلام: "كفى بالندم توبة"(٤٣).

فإن من جعل الاخرة هماً له يسهم مساهمة فعالة في اصلاح النفس واصلاح الضمير واصلاح السلوك والتفكير المتواصل بالآخرة يحصن الانسان من المعصية وتوجهه نحو التكامل وتبعده عن الباطل والانحراف بأشكاله وهذه حقيقة ملموسة وواقعية ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "اجعل همك لمعادك تصلح" وقوله عليه السلام ايضاً: "من أكثر من ذكر الآخرة قلت معصيته"(٤٤).

ونذكر مثال من قول الامام الباقر عليه السلام ومدى تأثير الممارسات المجتمعية الخاطئة على السلوك وتكامل الانسان ما ورد عنه: "لا يسلم أحد من الذنب حتى يخزن لسانه"(٤٥).

- **تعميق الحياء الداخلي وصلاح لنفس**

الحياء عبارة عن الشعور بالانفعال والانكسار النفسي نتيجة للخوف من اللوم والتوبيخ من الآخرين وهو شعور تراعى فيه المثل والقيم والضوابط الاجتماعية ويسهم بشكل فعال في ضمان تنفيذ القوانين والمنع من الاقدام على التجاوز والاعتداء وهو الذي يحصن الانسان من جميع الوان الانحراف والرذيلة، فعن امير المؤمنين عليه السلام: "الحياء لباس سابغ وحجاب مانع وستر من المساوئ واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء"(٤٦).

وعلى هذا فقد بين الامام الباقر عليه السلام ان التزكية ليست مجرد كلمات ورؤى نظرية بل هي ممارسة وسلوك عملي، يجب ان تنطلق من داخل النفس الانسانية ولابد ان يتسلح الانسان بالواعز الذاتي الي يصده عن فعل القبيح، فلذلك أكد الامام عليه السلام على الحياء لأنه حصن حصين يردع الاهواء والشهوات من الانطلاق اللامحدود،(٤٧) فيسمو الانسان نحو الكمال الخلقي والديني كما بينه قول الامام الباقر عليه السلام:" الحياء والايمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه"(٤٨).

- **نشر العلوم الربانية لتهيئة كوادر رسالية.**

إن اول ما قام به الامام الباقر عليه السلام هو نشر العلم على الامة الاسلامية المتعطشة الى مثل تلك العلوم الربانية، بشكل يضمن وصول معظمها حتى الى الاجيال القادمة الى يوم القيامة لتغذية الامة بالفكر الرسالي الصحيح، كما ويلزم الاخذ بعين الاعتبار ضرورة تجسيد الرسالة عل أرض الواقع أي ان تكون الكوادر الرسالية متحركة بِتَحليهم التام بأخلاقياتها وتمثلهم بقيمها ليكونوا قدوة يقتدى بهم المؤمنون في جميع انحاء ابلاد الاسلامية كما ورد في الحديث الشريف:" كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم... بل بأعمالكم..."(٤٩).

وورد عن الامام الباقر عليه السلام:" لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقراً لمن دونه"(٥٠).

فكان الامام الباقر عليه السلام يربيهم تربية روحية عالية لأنها ضرورة للعمل الرسالي كله، كما يربيهم تربية اخلاقية راقية لان الدين المعاملة والدين اخلاق، والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله قال:" انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق".

فكانت تربية الامام عليه السلام للتلاميذ مميزة تماماً وكان يقول لهم:" ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه.. وما كانوا يعرفون - الشيعة- إلا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة وكثرة ذكر الله.."(٥١).

- **أخلاقهم تنم عن عظيم تربيتهم.**

بما ان حاز الإمام الباقر عليه السلام قصب السبق على كل من عاصره في العبادة والعلم والحلم والزهد والكرم والشجاعة وغيرها من مظاهر العظمة، وشهد له فطاحل العلماء في

عصره ومن جاء بعدهم بالفضل والعلم والتقى وسموّ المكانة والهيبة في المجتمع آنذاك، ذلك لأنّ تلك السمات كانت سجية وملكة في نفسه المقدّسة، فكان يعمل على ترسيخها باقتران القول بالفعل، والشعار بالسلوك،(٥٢) وهذا ما راده عليه السلام لوضع ملامح المنهج التربوي الصحيح بنشره مكارم الاخلاق واذاعتها بين الناس لأنها من العناصر الذاتية في بناء المجتمع الاسلامي، وقد حفلت مصادر الحديث وغيرها بالشيء الكثير من كلماته الحكيمة، حول الاحسان، وفعل المعروف وغيرها من مكارم الاخلاق(٥٣).

وكما بينا سابقاً كيف وضح الامام الصلة بين العلم والاخلاق وعلاقتهما بالعمل وتأثيرهما في بناء المجتمع الصالح كما بقوله عليه السلام: "لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل. ومن عرف دلته معرفته على العمل. ومن لم يعرف فلا عمل له"(٥٤).

المبحث الرابع

نـجاح المجتمع في رؤية الامام الباقر عليه السلام

- **العقيدة الصالحة سبب النجاح.**

يشكل التوحيد الحجر الأساس في البناء الفكري والعقيدي والأخلاقي، وهو المحور الذي تدور عليه العقائد والشرائع الإلهية، من هنا كان للإمام الباقر عليه السلام كلمات كثيرة في بيان معنى التوحيد الخالص من شوائب الشرك ومقولات التشبيه والتجسيم، وتأكيد أن المعبود سبحانه لم يزل ولا يزال واحداً صمداً قدوساً تفرّد بالعبودية، وتعالى عن صفات الخلق. وايضا وحذّر عليه السلام من الشرك لأنه من الظلم الذي لا يغفره اللّه(٥٥)، قال عليه السلام: ((الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره اللّه، وظلم يغفره اللّه، وظلم لا يدعه اللّه، فأما الظلم الذي لا يغفره اللّه فالشرك باللّه...))(٥٦).

وإن للتكامل الروحي أثر فان السيطرة التدريجية للفساد وقلة الادب والانحراف والكسل والحسد.. الخ تحصل عندما يسحق قانون التكامل الروحي(٥٧). وانه لخطأ أرتكبه دعاة التمدن والتجدد في اهمالهم للتكامل الروحي، فان العمر الروحي للأغلبية العظمى من الناس لا يتجاوز ال ١٢ أو ١٣ عاماً(٥٨).

- **التفكر خير من العبادة.**

دعا الامام عليه السلام الى إجالة الفكر وانطلاقه، فقال: "بإجالة الفكر يستدر الرأي المعشب".[٥٩] وهذه الكلمة من روائع الحكم فان الرأي الاصيل والسديد انما يصل إليه الانسان بعد إجالة فكره في الامور وكذلك الحقائق العلمية والمخترعات انما هي وليدة التفكر والدراسة للأُمور فانه من غير الممكن ان يتوصل الانسان لذلك دون إجالة الفكر وإمعانه[٦٠].

فعن الامام الصادق عليه السلام:" افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته"[٦١].

وعنه عليه السلام:" تفكر ساعة خير من عبادة سنه"[٦٢].

فالتفكر عبادة حيث يأخذ بيد الانسان الى ان يحسن علاقته مع الجميع لان في لك طاعة الله لأنه أمر بالتحبب الى الناس ومداراتهم وأمر بالتواصل والتراحم والتحبب في الله والبغض في الله وتولي أولياء الله ومعاداة أعداء الله فلهذا كان التفكر عبادة[٦٣].

- **سلامة القلب**

إن الاعتقاد الصحيح هو الذي يأتي بعد تنور القلب بنور المعرفة والعلم والقلب والقضاء على الجهل وكما ورد عن الامام الصادق عليه السلام:" العامل على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعه لا يزيده سرعة السير إلا بعداً"[٦٤].

- **الحب والبغض في الله**

روى الامام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:" ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ومن أحب في الله، وأبغض في الله، واعطى في الله، ومنع في الله فهو من أصفياء الله"[٦٥].

- **دور المرأة المقدس**

إن المرأة لها دور كبير في تنظيم العلاقات والمجتمع من خلال عفتها ودورها الفاعل في تربية الاسرة وأداء الحقوق الزوجية وقد رفعها ذلك الى وصف المجاهدين في سبيل الله، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله:" جهاد المرأة حسن التبعل"[٦٦].

ومن هنا حرص الاسلام في تعليماته لاختيار الزوجة الجانبين الوراثي الذي انحدرت

منه والجانب الاجتماعي الذي عاشته وانعكاسه على سلوكها وسيرتها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:" تخيروا لنطفكم فان العرق دساس"(٦٧).

الخاتمة:

إن عملية التربية الصحيحة لابد ان تستمر باستمرار الاجيال على يد مربٍ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة في الخلق والسلوك كالرسول صلى الله عليه وآله يستوعب الرسالة ويجسدها في كل حركاته وسكناتهم، ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول صلى الله عليه وآله إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبيين معالمها وكشف أسرارها على مر العصور وحتى يرث الله الارض ومن عليها.

ومن هنا تبلورت صور النهج التربوي بعظيم ادوارهم، ولنعلم بان الخلق الحسن لا يناله الانسان إلا بعد تزكية الروح وتطهيرها من جميع الشوائب التي تطرأ عليها سواء كانت الخلقية، الفكرية، الروحية.

فإن غاية منهج الامام الباقر عليه السلام هو بناء الانسان الكامل عن طريق تمتع الافراد بالسلوك الذي رسمه لاتباعه وبينه للمجتمع عن طريق سلوكه، خطبه، ومواعظه.

وبهذه الاوراق العطرة بمسك اهل البيت عليهم السلام وانوارهم البهية وما كانت الا قطرات من بحر نداهم عليهم السلام فهم الطريق والهدف وهم الوسيلة واثارهم الندية في الاثار واسماؤهم في الاسماء فما احلى اسماؤهم وما احلى حبهم الطارد للاغيار عن قلب الانسان وعقله وسلوكه الذي يسلكه مع نفسه وربه ومجتمعه فهم المخلصون عملاً وعلماً لان منهج اخلاصهم ومعرفتهم بربهم مهم فقلوبهم آية جمال المحبوب الذي يتصرف في قلوبهم لانها مسكنه تعالى واما قلوبهم اولياؤهم فهي مرآة لانوارهم التي تتجسد في صفاتهم فاثر المعرفة لربهم وصفاته قد غلبت عليها فكانت سلوكاً يتبع لينال به رضى محبوبهم.

هوامش البحث

(١) الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سيرة وتأريخ: ص٦.
(٢) الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سيرة وتأريخ: ص٥٤.
(٣) كلمة الامام الباقر عليه السلام: ج١ ص١٥.
(٤) الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سيرة وتأريخ: ص٥٤.
(٥) محمد بن علي الباقر عليه السلام مولده - حياته - وفاته: ص٩٦.
(٦) معالم مشعة من حياة الإمام الباقر عليه السلام: ص بلا.
(٧) محمد بن علي الباقر عليه السلام مولده - حياته - وفاته: ص١٦.
(٨) أعلام الهداية: ج٧ ص٢٦.
(٩) معجم مقاييس اللغة - بن فارس - كتاب النون.
(١٠) مختار الصحاح - الرازي: ص٦٨١.
(١١) عبدالرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي- مجلة البحوث الإسلامية- ع:٥٨- ص:٣٠٠.
(١٢) أسس التربية: ص٢٥.
(١٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(١٤) سورة الحج، الآية: ٥
(١٥) سورة الروم، الآية: ٣٩
(١٦) سورة الشعراء، الآية ١٨
(١٧) سورة الإسراء، الآية ٢٤
(١٨) سورة البقرة، الآية: ٣٢
(١٩) سورة المائدة، الآية: ١١٠
(٢٠) سورة آل عمران، الآية: ٤٨
(٢١) أسس التربية: ص ٢٩
(٢٢) سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام: ص٢٢٣-٢٢٤، نقلاً عن الدعوات، قطب الدين الراوندي، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٧هـ.ق، ص١٤٤ و١٤٥.
(٢٣) سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام: ص٢٢٣.
(٢٤) تربية الطفل في الاسلام: ص٩ -١٠
(٢٥) سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام: ص٢٢٣.
(٢٦) تحف العقول: ص ٤٥.
(٢٧) سورة محمد ٤٧: ٢٢ و٢٣.
(٢٨) سورة الرعد ١٣: ٢٥.

(٢٩) سورة الاحزاب ٣٣: ٥٧.
(٣٠) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص٤٩-٥٠، نقلاً عن الاتحاف بحب الاشراف: ص ٥٠.
(٣١) اعلام الهداية: ج٧ ص ٦٢.
(٣٢) محمد بن علي الباقر عليه السلام مولده - حياته - وفاته: ص٧٢
(٣٣) ملامح المنهج التربوي: ص ١١٠، نقلاً عن كنز العمال، للمتقي الهندي: ج٣ ص ١٦.
(٣٤) ملامح المنهج التربوي: ص١١٠.
(٣٥) تحف العقول: ص ٢٣٣.
(٣٦) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص ١٣٨، نقلاً عن اعيان الشيعة - القسم الاول: ج٤ ص٤٧١.
(٣٧) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص ١٣٨-١٣٩، نقلاً عن تاريخ دمشق:٥٤: ص٢٨٠ -٢٨١، البداية والنهاية: ج٩، ص٣١٠.
(٣٨) أعلام الهداية: ج٧ ص ١٤٥، نقلاً عن الكافي: ج٢ ص٧٤.
(٣٩) ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام: ص٣٤.
(٤٠) ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام: ص٣٥، نقلاً عن تحف العقول / الحراني: ص ٣١٥.
(٤١) الطفل بين الوراثة والتربية: ج١ ص١٩٣-١٩٣، نقلاً عن آداب النفس للسيد محمد العيثاني: ج١ ص٢٦.
(٤٢) اعلام الهداية: ج٧ ص ١٥٠، نقلاً عن الكافي: ج٢ ص ٣١١.
(٤٣) اعلام الهداية: ج٧ ص ١٥٠، نقلاً عن وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٩.
(٤٤) ملامح المنهج التربوي: ص ٣٦، نقلاً عن تصنيف غرر الحكم: ص١٤٦
(٤٥) تحف العقول: ص ٢٣٥.
(٤٦) ملامح المنهج التربوي: ص٥١، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص٢٧٢.
(٤٧) اعلام الهداية: ج٧ ص١٥١-١٥٢.
(٤٨) تحف العقول: ص٢٣٣.
(٤٩) كلمة الامام الباقر عليه السلام: ج١، ص٢٨، نقلاً عن قرب الاسناد: ص٣٧، ومشكاة الانوار: ص٤٦ الفصل الثاني عشر.
(٥٠) تحف العقول: ص٢٣١.
(٥١) كلمة الامام الباقر عليه السلام: ج١، ص٢٩، نقلاً عن صفات الشيعة: ص١٢، ح١٢، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢، ص١٨٥.
(٥٢) الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سيرة وتأريخ: ص١٠٠.
(٥٣) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص٣٢١.
(٥٤) تحف العقول: ص ٢٣١.
(٥٥) الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سيرة وتأريخ: ص١٩٠.

(٥٦) تحف العقول: ص٢٣٠.
(٥٧) الطفل بين التربية والوراثة: ج١ ص١٩٤، نقلاً عن رآه ورسم زنكي: ص٦٧.
(٥٨) الطفل بين التربية والوراثة: ج١ ص١٩٤، نقلاً عن رآه ورسم زنكي: ص٦٧.
(٥٩) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص٣٢٠، نقلاً عن جامع السعادات: ج١ ص١٦٥.
(٦٠) الامام محمد الباقر عليه السلام: ج١٧ ص٣٢٠.
(٦١) اصول الكافي: باب التفكر ج٢.
(٦٢) البحار: ج١٥ ص١٩٥.
(٦٣) الدين هو الحب والحب هو الدين: ص٢٨.
(٦٤) الدين هو الحب والحب هو الدين: ص٢٨، نقلاً عن بحار الانوار ج١، ص٢٠٨.
(٦٥) أعلام الهداية:ج٧ ص١٧١، نقلاً عن المحاسن ٢٦٣.
(٦٦) الدين هو الحب والحب هو الدين: ص١٣٣.
(٦٧) تربية الطفل في الاسلام: ص٢٨، نقلاً عن المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج٣، ص٩٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- الامام محمد الباقر عليه السلام، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر شريف القرشي، ط٢، مطبعة ستار، نشر دار المعروف، مؤسسة الامام الحسن عليه السلام،النجف الاشرف، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٢- الامام محمد الباقرعليه السلام باقر علوم الاولين والاخرين، الحاجة فاطمة علي جعفر،ط١، الكويت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.

٣- اعلام الهداية ج٧، الامام محمد بن علي الباقرعليه السلام،ط٢، لجنة التأليف، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مطبعة ليلى، ١٤٢٥هـ.

٤- تربية الطفل في الاسلام، السيد شهاب الدين الحسيني، سلسلة المعارف الاسلامية، مركز الرسالة، من اصدارات المركز.

٥- أُسس التربية، الدكتور علي القائمي، ط١، دار النبلاء بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٦- ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، علم النفس والتربية والإجتماع، السيد شهاب الدين الحسيني العذاري، مركز الرسالة، مطبعة ستاره.

٧- التربية في سيرة وكلام الامام المجتبى عليه السلام، عبد الكريم التبريزي، شبكة المعارف.

٨- موسوعة الكلمة ١٠، كلمة الامام الباقر عليه السلام، ج١، آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي قدس سره، ط١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩- معالم مشعة من حياة الامام الباقر عليه السلام، د. حسين ابراهيم الحاج حسن.

١٠- الامام أبو جعفر سيرة وتأريخ، الاستاذ علي موسى الكعبي، سلسلة المعارف الاسلامية، مركز الرسالة، من اصدارات المركز.

١١- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الشيخ الجليل الاقدم ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة البحراني، ط١، دار المرتضى، لبنان ، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

١٢- الدين هو الحب والحب هو الدين الامام الباقر عليه السلام، أمل الموسوي، مطبعة مجمع اهل البيت عليهم السلام، النجف الاشرف.